تدخل فيه بوجه، والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي، عن عثمان بن عبد الله بن أوس الثقفي، عن جدِّه أوس بن حذيفة قال: كنت في الوفد الذين أتوا النبيَّ ﷺ، فذكر حديثاً فيه: أن رسول الله ﷺ كان يسمُرُ معهم بعد العشاء، فمكث عنَّا ليلةً لم يأتِنا، حتى طال ذلك علينا بعد العشاء. قال قلنا: ما أمكثَكَ عنَّا يا رسول الله؟ قال: **«طرأ عليَّ حزبٌ من القرآن، فأردتُ ألا أخرج حتى أقضيه»**. قال: فسألنا أصحابَ رسول الله ﷺ حين أصبحنا. قال: قلنا: كيف تُحزِّبون القرآن؟ قالوا: نُحزِّبه ثلاث سُوَر، وخمس سُوَر، وسبع سُور، وتسع سُور، وإحدى عشرة سورة، وثلاث عشرة سورة، وحزب المفصل من قاف حتى يختم[(١)].

ورواه أبو داود، وابن ماجه من حديث عبد الله بن عبد الرحمن بن يعلى الطائفي، به[(٢)]. وهذا إسناد حسن[(٣)].

فصــل

فأمَّا نَقْطُ المصحف وشَكْلُه، فيُقال: إن أول مَنْ أمر به عبد الملك بن مروان، فتصدَّى لذلك الحجاج وهو بواسط، فأمر الحسن البصري ويحيى بن يَعْمُر، فَفَعلا ذلك، ويقال: إن أول من نقط المصحف أبو الأسود الدُّؤَلي، وذكروا أنه كان لمحمد ابن سيرين مصحفٌ قد نقطه له يحيى بن يَعمُر، والله أعلم.

وأما كتابة الأعشار على الحواشي فيُنسب إلى الحجاج أيضاً، وقيل: بل أول من فعله المأمون، وحكى أبو عَمرو الداني عن ابن مسعود أنه كره التعشير في المصحف، وكان يحكُّه[(٤)]، وكرِهَ مجاهدٌ ذلك أيضاً[(٥)].

---

(١) مسند أحمد (١٦١٦٦).

(٢) سنن أبي داود (١٣٩٣)، وسنن ابن ماجه (١٣٤٥).

(٣) بل ضعيف، لضعف عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي.

(٤) وهو أثر حسن عن ابن مسعود، أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» ص٢٤٠ ـ ٢٤١، وابن أبي شيبة ٢/٣٨ و ٦/١٤٩، وابن الضريس (٣٦) و (٤٨)، وابن أبي داود في «المصاحف» (٤٢٩ ـ ٤٣٣).

(٥) كما أخرج ابن أبي شيبة ٢/٢٣٩، وابن أبي داود (٤٣٦)، وفي إسنادهما ليث بن أبي سليم، وهو ضعيف.

وقال مالك: لا بأس به بالحبر، فأما بالألوان المصبغة فلا، وأكره تعداد آيِ السُّوَر في أولها في المصاحف الأمهات، فأما ما يتعلم فيه الغلمان فلا أرى به بأساً[(١)].

وقال قتادة: بدؤوا فنقَّطوا، ثم خمَّسوا، ثم عشَّروا[(٢)].

وقال يحيى بن أبي كثير: أول ما أحدثوا النقط على الياء والتاء، وقالوا: لا بأس به، هو نور له، أحدثوا نقطاً عند آخر الآي، ثم أحدثوا الفواتح والخواتم[(٣)].

ورأى إبراهيم النَّخَعي فاتحة سورة كذا، فأمر بمحْوِها وقال: قال ابن مسعود: لا تخلطوا بكتاب الله ما ليس فيه[(٤)]. قال أبو عمرو الداني: ثم قد أطبق المسلمون في ذلك في سائر الآفاق على جواز ذلك في الأمهات وغيرها.

ثم قال البخاري رحمه الله:

كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم

قال مسروق عن عائشة، عن فاطمة رضي الله عنها: أسرَّ إليَّ رسول الله ﷺ أن جبريل كان يُعارضني بالقرآن كلَّ سنةٍ، وأنه عارضني العامَ مرتين، ولا أُراهُ إلا حضرَ أجلي[(٥)]. هكذا ذكره معلَّقاً، وقد أسنده في موضعٍ آخر[(٦)].

ثم قال: حدثنا يحيى بن قَزَعة، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن الزهري، عن عُبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس قال: كان النبيُّ ﷺ أجودَ الناس بالخير، وأجودَ

(١) أخرجه أبو عمر الداني في «المحكم في نقط المصاحف» ص١٣ و ١٥ و ١٧ .

(٢) أخرجه أبو عمرو الداني في «المحكم في نقط المصاحف» ص٢ و ١٥ .

(٣) أخرجه أبو عمرو الداني في «المحكم في نقط المصاحف» ص٢ و ١٧ و ٣٥ .

(٤) أخرجه أبو عمرو الداني في «المحكم في نقط المصاحف» ص١٦ .

(٥) صحيح البخاري كما في فتح الباري ٩/ ٤٣ .

(٦) صحيح البخاري (٣٦٢٤) .

obeikandl.com

ما يكون في شهر رمضان؛ لأنَّ جبريلَ كان يلقاه في كلِّ ليلةٍ في شهر رمضان حتى ينسلخ يعرِضُ عليه رسولُ اللهِ ﷺ القرآنَ، فإذا لقِيَه جبريلُ كان أجودَ بالخير من الريح المرسلة. وهذا الحديث متفقٌ عليه[1]، وقد تقدم الكلام عليه في أول الصحيح وما فيه من الحِكَم والفوائد، والله أعلم.

ثم قال: حدثنا خالد بن يزيد، حدثنا أبو بكر، عن أبي حَصِين، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: كان يعرِضُ على النبي ﷺ القرآنَ كل عامٍ مرة، فعرضَ عليه مرتين في العام الذي قُبِضَ فيه، وكان يعتكف في كل عامٍ عشراً، فاعتكف عشرين في العام الذي قُبِضَ[2].

ورواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه من غير وجهٍ عن أبي بكر ـ وهو ابن عياش ـ عن أبي حَصين ـ واسمه عثمان بن عاصم ـ به[3].

والمراد من معارضته له بالقرآن كلَّ سنة: مقابلته على ما أوحاه إليه عن الله تعالى؛ ليبقى، ويذهب ما نُسِخَ توكيداً، استثباتاً وحفظاً؛ ولهذا عرضه في السنة الأخيرة من عمره عليه السلام على جبريل مرتين، وعارضه به جبريل كذلك؛ ولهذا فهم عليه السلام اقترابَ أجله، وعثمان ﷺ جمع المصحف الإمام على العرضة الأخيرة، وخصَّ بذلك رمضان من بين الشهور؛ لأنَّ ابتداء الإيحاء كان فيه؛ ولهذا يُستحَبُّ دراسةُ القرآن وتكرارهُ فيه، ومن ثَمَّ اجتهاد الأئمة فيه في تلاوة القرآن، كما تقدم ذِكْرُنا لذلك.

القرَّاء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

حدثنا حفص بن عمر، حدثنا شعبة، عن عمرو، عن إبراهيم، عن مسروق: ذكرَ عبدُ الله بن عَمرو عبدَ الله بن مسعود، فقال: لا أزال أُحِبُّه، سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) صحيح البخاري (٤٩٩٧)، وصحيح مسلم (٢٣٠٨).

(٢) صحيح البخاري (٤٩٩٨).

(٣) سنن أبي داود (٢٤٦٦)، وسنن النسائي الكبرى (٧٩٩٢)، وسنن ابن ماجه (١٧٦٩).

يقول: «**خُذوا القرآنَ من أربعةٍ: من عبد الله، وسالم، ومعاذ بن جبل، وأُبي بن كعب**» ﷺ[١].

وقد أخرجه البخاري في المناقب في غير موضع، ومسلم، والنسائي من حديث [شعبة، عن عَمرو بن مُرَّة، به[٢].

وأخرجاه والترمذي، والنسائي ـ أيضاً ـ من حديث] الأعمش، عن أبي وائلٍ، عن مسروق، به[٣].

فهؤلاء الأربعة اثنان من المهاجرين الأولين عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة، وقد كان سالمٌ هذا من سادات المسلمين وكان يومُ الناسَ قبل مقدَم النبيِّ ﷺ المدينة، واثنان من الأنصار معاذ بن جبل، وأُبيٌّ بن كعب، وهما سيدان كبيران، ﷺ أجمعين[٤].

ثم قال: حدثنا عمر بن حفص، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا شَقيق بن سلمة قال: خطبَنا عبد الله فقال: واللهِ لقد أخذتُ من في رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة، واللهِ لقد علم أصحاب النبيِّ ﷺ أني مِنْ أعلَمِهم بكتاب الله وما أنا بخيرِهم. قال شقيق: فجلستُ في الحِلَقِ أسمعُ ما يقولون، فما سمعتُ رادّاً يقول غير ذلك[٥].

حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة قال: كُنّا بحمص، فقرأ ابنُ مسعودٍ سورةَ يوسف، فقال رجل: ما هكذا أُنزلت، فقال: قرأتُ على رسول الله ﷺ، فقال: «**أحسنت**» ووجد منه ريح الخمر، فقال:

---

(١) صحيح البخاري (٤٩٩٩).

(٢) صحيح البخاري (٣٧٥٨) و (٣٨٠٦)، وصحيح (٢٤٦٤) (١١٨)، وسنن النسائي الكبرى (٧٩٩٦).

(٣) ما بين حاصرتين سقط من الأصل، واستدركته من طبعة دار طيبة.

(٤) صحيح البخاري (٣٧٦٠)، وصحيح مسلم (٢٤٦٤) (١١٦) و(١١٧)ن وسنن الترمذي (٣٨١٠)، وسنن النسائي الكبرى (٧٩٩٧).

(٥) صحيح البخاري (٥٠٠٠).

أتجمع[١] أن تُكذِّبَ بكتاب الله وتشربَ الخمر؟! فجلدَه الحدَّ[٢].

حدثنا عمر بن حفص، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا مسلم، عن مسروق قال: قال عبد الله: واللهِ الذي لا إله غيره، ما أُنزِلتْ سورةٌ من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا أُنزِلتْ آيةٌ من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، ولو أعلم أحداً أعلمَ مني تبلُغه الإبلُ لركبتُ إليه[٣].

وهذا كلُّه حقٌّ وصدق، وهو من إخبار الرجل بما يعلم عن نفسه ما قد يجهله غيره، فيجوز ذلك للحاجة، كما قال تعالى إخباراً عن يوسف لمَّا قال لصاحب مصر: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ [يوسف:٥٥]، ويكفيه مدحاً وثناءً قولُ رسول الله ﷺ: **«استقرئوا القرآن من أربعة»**، فبدأ به.

وقال أبو عبيد: حدثنا مصعب بن المقدام، عن سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عمر، عن النبي ﷺ قال: **«مَنْ أحبَّ أن يقرأ القرآن غضًّا كما أُنزِلَ فليقرَأْه على حرف ابن أم عبد»**[٤].

وهكذا رواه الإمام أحمد، عن أبي معاوية، عن الأعمش به مطولاً، وفيه قصة[٥].

وأخرجه الترمذي، والنسائي من حديث أبي معاوية، وصحَّحه الدارقطني[٦]، وقد ذكرتُه في مسند عمر[٧]، وفي **«مسند الإمام أحمد»** ـ أيضاً ـ عن أبي هريرة، أن

---

(١) في الأصل الخطي والنسخ المطبوعة «أتجترئ»، والمثبت من صحيح البخاري.

(٢) صحيح البخاري (٥٠٠١).

(٣) صحيح البخاري (٥٠٠٢).

(٤) فضائل القرآن ص ٢٢٥، وإسناده صحيح.

(٥) مسند أحمد (١٧٥)، وإسناده صحيح.

(٦) سنن الترمذي (١٦٩)، وسنن النسائي الكبرى (٨٢٥٦)، وعلل الدارقطني ١/ ١٨٣.

(٧) مسند عمر ص ١٧١.

رسول الله ﷺ قال: «**ومَنْ أحبَّ أن يقرأ القرآن غضًّا كما أُنزِلَ فليقرَأْه على حرف ابن أم عبد**»[١]، وابن أم عبد هو عبد الله بن مسعود، وكان يُعرَفُ بذلك.

ثم قال البخاري: حدثنا حفص بن عمر، حدثنا همَّام، حدثنا قَتادة قال: سألتُ أنس بن مالك: مَنْ جمعَ القرآن على عهد رسول الله ﷺ؟ قال: أربعة، كلهم من الأنصار: أُبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد[٢].

ورواه مسلم من حديث همَّام[٣].

ثم قال البخاري: تابعه الفضل، عن حسين بن واقد، عن ثُمامة، عن أنس بن مالك[٤].

حدثنا مُعلَّى بن أسد، حدثنا عبد الله بن المثنى قال: حدثني ثابت البُناني وثُمامة، عن أنس بن مالك قال: مات النبيُّ ﷺ ولم يجمعِ القرآنَ غيرُ أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. قال: ونحن ورثناه[٥].

فهذا الحديث ظاهره أنه لم يجمع القرآن من الصحابة سوى هؤلاء الأربعة فقط، وليس هذا هكذا، بل الذي لا شكَّ فيه أنه جمعه غير واحدٍ من المهاجرين أيضاً، ولعلَّ مراده: لم يجمع القرآن من الأنصار؛ ولهذا ذكر الأربعة من الأنصار، وهم أُبيّ ابن كعب في الرواية الأولى المتفق عليها وفي الثانية من أفراد البخاري: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، وكلهم مشهورون إلا أبا زيد هذا، فإنه غيرُ معروفٍ إلا في هذا الحديث، وقد اختُلِفَ في اسمه، فقال الواقدي: اسمه قيس بن السكن بن قيس بن زعوراء بن حرام بن جُندُب بن عامر بن غَنْم بن عدي بن النجار.

---

(١) مسند أحمد (٩٧٥٧).

(٢) صحيح البخاري (٥٠٠٣).

(٣) صحيح مسلم (٢٤٦٥).

(٤) صحيح البخاري عقب الحديث (٥٠٠٣).

(٥) صحيح البخاري (٥٠٠٤).

وقال ابن نمير: اسمه سعد بن عبيد بن النعمان بن قيس بن عمرو بن زيد بن أمية من الأوس. وقيل: هما اثنان جمعا القرآن، حكاه أبو عمر بن عبد البر، وهذا بعيدٌ، وقول الواقدي أصحُّ؛ لأنه خزرجي، لأن أنساً قال: ونحن ورثناه، وهم من الخزرج، وفي بعض الألفاظ: وكأن أحد عمومتي. وقال قتادة عن أنس: افتخر الحيان الأوس والخزرج، فقالت الأوس: منا غَسيل الملائكة حنظلة بن أبي عامر، ومنا الذي حمته الدبُرُ عاصم بن ثابت، ومنا الذي اهتزَّ لموته العرش سعد بن معاذ، ومنا من أُجيزت شهادتُه بشهادة رجلين خُزيمة بن ثابت. فقالت: الخزرج: منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ: أبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد.

فهذا كله يدل على صحة قول الواقدي، وقد شهد أبو زيد هذا بدراً، فيما ذكره غير واحد. وقال موسى بن عقبة عن الزُّهري: قُتِلَ أبو زيد قيس بن السكن يوم جسر أبي عبيدة على رأس خمس عشرة من الهجرة، والدليل على أن من المهاجرين من جمع القرآن أن الصِّدِّيق ﷺ، قدَّمه رسول الله ﷺ في مرضه إماماً على المهاجرين والأنصار، مع أنه ﷺ قال: **«يَؤمُّ القوم أقرؤهم لكتاب الله»**[1]، فلولا أنه كان أقرأهم لكتاب الله لما قدَّمه عليهم. هذا مضمون ما قرَّره الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، وهذا التقرير لا يُدفع ولا يُشَكُّ فيه، وقد جمع الحافظ ابن السمعاني في ذلك جزءاً، وقد بسطتُ تقرير ذلك في كتاب مسند الشيخين رضي الله عنهما. ومنهم عثمان بن عفان وقد قرأه في ركعة ـ كما سنذكره ـ وعلي بن أبي طالب يقال: إنه جمعه على ترتيب ما أنزل، وقد قدمنا هذا. ومنهم عبد الله بن مسعود، وقد تقدم عنه أنه قال: ما من آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين زلت؟ وفيم نزلت؟ ولو علمت أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه المطيُّ لذهبت إليه. ومنهم سالم مولى أبي حذيفة، كان من السادات النُّجباء والأئمة الأتقياء، وقد قُتِلَ يوم اليمامة شهيداً.

---

(١) أخرجه مسلم (٦٧٢) من حديث أبي مسعود الأنصاري.

ومنهم الحبر البحر عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ وترجمان القرآن، وقد تقدم عن مجاهد أنه قال: قرأت القرآن على ابن عباس مرتين، أقفه عند آيةٍ وأسأله عنها. ومنهم عبد الله بن عمرو، كما رواه النسائي وابن ماجه من حديث ابن جُرَيج عن عبد الله بن أبي مُلَيْكة، عن يحيى بن حكيم بن صفوان، عن عبد الله بن عمرو قال: جمعتُ القرآنَ فقرأتُ به كل ليلة، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ، فقال: «اقرأه في شهر» وذكر تمام الحديث[(١)].

ثم قال البخاري: حدثنا صدقة بن الفضل، حدثنا يحيى، عن سفيان، عن حبيب ابن أبي ثابت، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس قال: قال عمر: عليٌّ أقضانا، وأُبيٌّ أقرأُنا، وإنا لَنَدع من لحن أُبيٍّ، وأُبيٌّ يقول: أخذته من في رسول الله ﷺ، فلا أتركه لشيء، قال الله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦][(٢)].

وهذا يدلُّ على أن الرجل الكبير قد يقول الشيء يظنه صواباً وهو خطأ في نفس الأمر؛ ولهذا قال الإمام مالك: ما من أحدٍ إلا يُؤخذ من قوله ويردُّ إلا قول صاحب هذا القبر، أي: فكلُّه مقبول، صلوات الله وسلامه عليه.

ثم ذكر البخاري فضل فاتحة الكتاب وغيرها، وسنذكر فضل كل سورة عندها ليكون ذلك أنسب. ثم قال:

نزول السكينة والملائكة عند القراءة

وقال الليث: حدثني يزيد بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم، عن أُسيد بن الحُضَير قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوطة عنده، إذ جالت الفرس، فسكت فسكنت، ثم قرأ فجالت، فسكت فسكنت، ثم قرأ فجالت الفرس، فانصرف،

(١) سنن النسائي الكبرى (٨٠٦٤)، وسنن ابن ماجه (١٣٤٦)، وهو في مسند أحمد (٦٥١٦) وهو حديث صحيح لغيره.

(٢) صحيح البخاري (٥٠٠٥).

وكان ابنه يحيى قريباً منها، فأشفق أن تصيبه، فلما اجترَّه رفع رأسه إلى السماء حتى ما يراها، فلما أصبح حدَّث النبي ﷺ فقال: **«اقرأ يا ابن حُضَير، اقرأ يا ابن حُضَير»**. قال: فأشفقَتْ يا رسول الله أن تطأ يحيى وكان منها قريباً، فرفعتُ رأسي وانصرفتُ إليه، فرفعتُ رأسي إلى السماء فإذا مثلُ الظُلَّة، فيها أمثالُ المصابيح، فخرجت حتى لا أراها. قال: **«وتدري ما ذاك؟»** قال: لا. قال: **«الملائكة دَنَتْ لصوتك، ولو قرأتَ لأصبحَتْ ينظر الناس إليها لا تتوارى منهم»**. قال ابن الهاد: وحدثني هذا الحديث عبد الله بن خبَّاب عن أبي سعيد الخدري، عن أُسيد بن الحُضَير[١].

هكذا أورد البخاري هذا الحديث معلَّقاً، وفيه انقطاعٌ في الرواية الأولى، فإن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي المدني تابعيٌّ صغيرٌ لم يدرك أُسيداً؛ لأنه مات سنة عشرين، وصلَّى عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما. ثم فيه غرابة من حيث إنه قال: وقال الليث: حدثني يزيد بن الهاد ولم أرَه بسندٍ متصلٍ عن الليث بذلك، إلا ما ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر في الأطراف أن يحيى بن عبد الله بن بُكير رواه عن الليث كذلك[٢].

وقد رواه الإمام أبو عبيد في **«فضائل القرآن»** فقال: حدثنا عبد الله بن صالح ويحيى بن بُكَير، عن اللَّيث، عن يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيمي، عن أُسيد بن حُضَير، فذكر الحديث إلى آخره، ثم قال: قال ابن الهاد: وحدثني عبد الله بن خبَّاب، عن أبي سعيد، عن أُسيد بن حُضَير بهذا[٣].

وقد رواه النسائي في فضائل القرآن، عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، عن شُعيب بن الليث، وعن علي بن محمد بن علي، عن داود بن منصور، كلاهما عن

---

(١) صحيح البخاري (٥٠١٨)، وانظر تخريجه في «مسند أحمد» (١١٧٦٦).

(٢) ونقله عنه المزي في «تهذيب الكمال» ١/ ٧٢.

(٣) فضائل القرآن ص٢٦.

الليث، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن يزيد بن عبد الله ـ وهو ابن الهاد ـ عن عبد الله بن خبَّاب، عن أبي سعيد، عن أُسيد، به[١].

ورواه يحيى بن بُكير، عن الليث كذلك أيضاً، فجمع بين الإسنادين[٢].

ورواه في المناقب عن أحمد بن سعيد الرباطي، عن يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه، عن يزيد بن الهاد، عن عبد الله بن خبَّاب، عن أبي سعيد، أنَّ أُسيد بن حُضَير بينما هو ليلة يقرأ في مِرْبَده، الحديث[٣]. ولم يقل: عن أسيد، ولكن ظاهره أنه عنه، والله أعلم.

وقال أبو عبيد: حدثني عبد الله بن صالح، عن الليث، عن ابن شهاب، عن ابن كعب بن مالك، عن أُسيد بن حضير: أنه كان على ظهر بيته يقرأ القرآن وهو حسن الصوت، ثم ذكر مثل هذا الحديث أو نحوه[٤]:

حدثنا قَبيصة، عن حماد بن سلمة، عن ثابت البُناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أُسيد بن حُضَير قال: قلت: يا رسول الله، بينما أنا أقرأ البارحةَ بسورةٍ، فلما انتهيتُ إلى آخرها سمعتُ وَجبةً من خلفي، حتى ظننتُ أنَّ فرسي تُطلق، فقال رسول الله ﷺ: **«اقرأ أبا عَتيك»** (مرتين). قال: فالتفتُّ إلى أمثال المصابيح ملء بين السماء والأرض، فقال رسول الله ﷺ: **«اقرأ أبا عَتيك»**. فقال: واللهِ ما استطعتُ أن أمضي، فقال: **«تلك الملائكةُ نزلت لقراءة القرآن، أما إنك لو مضيتَ لرأيتَ الأعاجيب»**[٥].

---

(١) سنن النسائي الكبرى (٨٠٧٤).

(٢) وقد تقدم من رواية أبي عبيد.

(٣) سنن النسائي الكبرى (٨٢٤٤)، وأخرجه أيضاً ـ مسلم (٧٩٦) من طريقين آخرين، عن يعقوب بن إبراهيم، به.

(٤) فضائل القرآن ص٢٧.

(٥) فضائل القرآن ص٢٧.

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق سمع البراء يقول: بينما رجلٌ يقرأ سورة الكهف ليلةً إذ رأى دابته تركض ـ أو قال: فرسه يركض ـ فنظر فإذا مثلُ الضَّبابة أو مثل الغمامة، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال: **«تلك السكينة نزلت للقرآن، أو تنزَّل على القرآن»**(١).

وقد أخرجه صاحبا الصحيح من حديث شعبة(٢).

والظاهر أن هذا هو أُسيد بن الحُضَير ﷺ، فهذا ما يتعلق بصناعة الإسناد، وهذا من أغرب تعليقات البخاري رحمه الله، ثم سياقٌ ظاهرٌ فيما ترجم عليه من نزول السكينة والملائكة عند القراءة.

وقد اتفق نحو هذا الذي وقع لأُسيد بن الحُضَير لثابت بن قيس بن شماس كما قال أبو عُبيد: حدثنا عبَّاد بن عبَّاد، عن جرير بن حازم، عن عمِّه جرير بن زيد، أنَّ أشياخ أهلِ المدينة حدَّثوه، أن رسول الله ﷺ قيل له: ألم ترَ ثابتَ بنَ قيسِ بنِ شماسٍ لم تزل دارُه البارحةَ تزهَرُ مصابيح؟ قال: **«فلعلَّه قرأ سورة البقرة»**. قال: فسُئِلَ ثابتٌ فقال: قرأتُ سورةَ البقرة(٣).

وفي الحديث المشهور الصحيح: **«ما اجتمعَ قومٌ في بيتٍ من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه فيما بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتْهم الملائكة، وذكَرَهم الله فيمن عنده»** رواه مسلم عن أبي هريرة(٤).

ولهذا قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء:٧٨]، وجاء في بعض التفاسير: أن الملائكة تشهده. وقد جاء في **«الصحيحين»** عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«يتعاقبون فيكم ملائكةٌ**

---

(١) مسند الطيالسي (٧١٤).

(٢) صحيح البخاري (٣٦١٤)، وصحيح مسلم (٧٩٥).

(٣) فضائل القرآن ص٢٧.

(٤) صحيح مسلم (٢٦٩٩).

بالنهار، ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر، فيعرج إليه الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلَمُ بهم: كيف تركتُم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهو يصلون»[١].

من قال: لم يترك النبيُّ صلى الله عليه وسلم إلا ما بين الدُّفَّتين

حدثنا قُتيبة بن سعيد، حدثنا سفيان، عن عبد العزيز بن رُفَيع قال: دخلتُ أنا وشدادُ بن مَعْقِل على ابن عباس، فقال له شداد بن معقل: أترَكَ النبيُّ ﷺ من شيء؟ قال: ما ترك إلا ما بين الدُّفَّتين. قال: ودخلنا على محمد ابن الحنفية فسألناه، فقال: ما تركَ إلا ما بين الدُّفَّتين[٢]. تفرد به البخاري، ومعناه: أنه عليه السلام ما ترك مالاً ولا شيئاً يورث عنه، كما قال عمرو بن الحارث أخو جويرية بنت الحارث: ما تركَ رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أمةً ولا شيئاً[٣]. وفي حديث أبي الدرداء: **«إنَّ الأنبياء لم يُورِّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورَّثوا العلم، فمن أخذه أخذَ بحظٍّ وافر»**[٤]. ولهذا قال ابن عباس: وإنما ترك ما بين الدُّفَّتين ـ يعني: القرآن والسنة ـ مفسِّرةً له ومبيِّنةً وموضحةً له، فهي تابعةٌ له، والمقصود الأعظم كتاب الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ الآية [فاطر: ٣٢]، فالأنبياء عليهم السلام لم يُخلَقوا للدنيا يجمعونها ويورثونها، إنما خُلقوا للآخرة يدعون إليها ويُرَغِّبون فيها؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ: **«لا نورَثُ، ما تركنا فهو صدقة»**[٥]، وكان أول من أظهر هذه المحاسن من هذا الوجه أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه لمَّا

---

(١) صحيح البخاري (٥٥٥)، وصحيح مسلم (٦٣٢).

(٢) صحيح البخاري (٥٠١٩).

(٣) أخرجه البخاري (٢٧٣٩) و (٤٤٦١).

(٤) حديث حسن، أخرجه أحمد (٢١٧١٥)، وأبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣).

(٥) أخرجه البخاري (٣٠٩٣)، ومسلم (١٧٥٨).

سُئِلَ عن ميراث النبي ﷺ، فأخبر عنه بذلك، ووافقه على نقله عنه عليه السلام غيرُ واحدٍ من الصحابة، منهم عمر، وعثمان، وعلي، والعباس، وطلحة، والزبير، وعبدالرحمن بن عوف، وأبو هريرة، وعائشة، وغيرهم، وهذا ابن عباس يقوله ـ أيضاً ـ عنه عليه السلام، ﷺ أجمعين.

فضل القرآن على سائر الكلام

حدثنا هُدْبة بن خالد أبو خالد، حدثنا همَّام، حدثنا قَتادة، حدثنا أنس بن مالك، عن أبي موسى رضي الله عنهما، عن النبيِّ ﷺ: **«مثَلُ الذي يقرأ القرآن كمثل الأُتْرُجَّة، طعمُها طيِّبٌ وريحها طيِّبٌ، والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة، طعمُها طيِّبٌ ولا ريحَ لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة، ريحُها طيِّب وطعمُها مُرٌّ، ومثَلُ الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمُها مرٌّ ولا ريحَ لها»**[١].

وهكذا رواه في مواضع أُخر مع بقية الجماعة من طرقٍ عن قَتادة، به[٢].

ووجه مناسبة الباب لهذا الحديث: أن طيب الرائحة دار مع القرآن وجوداً وعدماً، فدلَّ على شرفه على ما سواه من الكلام الصادر من البر والفاجر.

ثم قال: حدثنا مُسَدَّد، حدثنا يحيى، عن سفيان، حدثني عبد الله بن دينار، قال: سمعتُ ابنَ عمر عن النبيِّ ﷺ قال: **«إنما أجَلُكم في أجل مَنْ خلا من الأمم كما بين صلاة العصر ومغرب الشمس، ومثَلُكم ومثَلُ اليهود والنصارى كمثل رجلٍ استعمل عمَّالاً، فقال: مَنْ يعملُ لي إلى نصف النهار على قيراط؟ فعملتِ اليهودُ، فقال: مَنْ يعملُ لي من نصف النهار إلى العصر؟ فعملَتِ النصارى، ثم أنتم من العصر إلى المغرب بقيراطين قيراطين، قالوا: نحن أكثر عملاً وأقلُّ عطاءً! قال: هل ظلمتُكم من حقِّكم؟ قالوا: لا. قال: فذلك فضلي أوتيه مَنْ شِئت»**[٣]. تفرد به من

(١) صحيح البخاري (٥٠٢٠).

(٢) صحيح البخاري (٥٠٥٩) و (٥٤٢٧)، وصحيح مسلم (٧٩٧)، وسنن أبي داود (٤٨٣٠)، وسنن الترمذي (٢٨٦٥)، وسنن النسائي ٨/ ١٢٤ ـ ١٢٥، وسنن ابن ماجه (٢١٤).

(٣) صحيح البخاري (٥٠٢١).

هذا الوجه، ومناسبته للترجمة: أن هذه الأمة مع قِصَر مدَّتها فضلَتِ الأممَ الماضية مع طول مدتها، كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وفي «المسند» والسنن عن بَهْزِ بن حكيم، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «أنتم تُوفون سبعين أمة، أنتم خيرُها وأكرَمُها على الله»(١). وإنما فازوا بهذا ببركة الكتاب العظيم الذي شرَّفه الله تعالى على كل كتابٍ أنزله، جعله مهيمناً عليه، وناسخاً له، وخاتماً له؛ لأنَّ كلَّ الكتب المتقدمة نزلت إلى الأرض جملةً واحدة، وهذا القرآن نزل منجَّماً بحسب الوقائع؛ لشدة الاعتناء به وبمن أنزله عليه، فكلُّ مرةٍ كنزول كتابٍ من الكتب المتقدمة، وأعظم الأمم المتقدمة هم اليهود والنصارى، فاليهود استعملهم الله من لَدُن موسى إلى زمان عيسى، والنصارى مِن ثَمَّ إلى أن بُعِثَ محمدٌ ﷺ، ثم استعمل أمته إلى قيام الساعة، وهو المشبه بآخر النهار، وأعطى الله المتقدمين قيراطاً قيراطاً، وأعطى هؤلاء قيراطين قيراطين، ضِعْفَي ما أعطى أولئك، فقالوا: أي ربَّنا، ما لنا أكثرُ عملاً وأقلُّ أجراً؟ فقال: هل ظلمتُكم شيئاً؟ قالوا: لا، قال: فذلك فضلي ـ أي: الزائد على ما أعطيتكم ـ أؤتيه من أشاء، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٨-٢٩].

الوصايا بكتاب الله

حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا مالك بن مِغْوَل، حدثنا طلحة بن مُصَرِّف قال: سألتُ عبد الله بن أبي أوفى: أوصى النبيُّ ﷺ؟ قال: لا. فقلتُ: كيف كتب على الناس الوصية، أمروا بها ولم يُوصِ؟ قال: أوصى بكتاب الله عزَّ وجلَّ(٢).

---

(١) وهو في مسند أحمد (٢٠٠٢٩)، وسنن الترمذي (٣٠٠١)، وسنن ابن ماجه (٤٢٨٧) و (٤٢٨٨)، وهو حديث حسن.

(٢) صحيح البخاري (٥٠٢٢).

وقد رواه في مواضع أُخر مع بقية الجماعة، إلا أبا داود من طرقٍ عن مالك بن مِغْوَل، به[١].

وهذا نظير ما تقدم عن ابن عباس: **«ما ترك إلا ما بين الدُّفتَّين»**، وذلك أن الناس كتب عليهم الوصية في أموالهم كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ١٨٠]، وأما هو ﷺ فلم يترك شيئاً يورَثُ عنه، وإنما ترك مالَه صدقةً جاريةً من بعده، فلم يحتج إلى وصيةٍ في ذلك، ولم يوصِ إلى خليفةٍ يكون بعده على التنصيص؛ لأن الأمر كان ظاهراً من إشاراته وإيماآته إلى الصِّدِّيق؛ ولهذا لمَّا همَّ بالوصية إلى أبي بكر ثم عدل عن ذلك فقال: **«يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»**[٢]، وكان كذلك، وإنما أوصى الناس باتباع كتاب الله تعالى.

من لم يتغنَّ بالقرآن وقول الله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥١]

حدثنا يحيى بن بُكَير، حدثنا اللَّيث، عن عُقَيل، عن ابن شهاب قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة ﷺ، أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ: **«لم يأذَنِ اللهُ لشيءٍ ما أذِنَ لنبيٍّ أن يتغنى بالقرآن»**، وقال صاحبٌ له: يريد: يجهر به[٣].

فرْدٌ من هذا الوجه.

ثم رواه عن علي بن عبد الله بن المَديني، عن سفيان بن عُيينة، عن الزهري، به. قال سفيان: تفسيره: يستغني به[٤].

---

(١) صحيح البخاري (٢٧٤٠) و (٤٤٦٠)، وصحيح مسلم (١٦٣٤)، وسنن الترمذي (٢١١٩)، وسنن النسائي ٦/ ٢٤٠، وسنن ابن ماجه (٢٦٩٦).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ مسلم (٢٣٨٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) صحيح البخاري (٥٠٢٣).

(٤) صحيح البخاري (٥٠٢٤).

وقد أخرجه مسلم، والنسائي من حديث سفيان بن عُيينة، به[١]. ومعناه: أن الله ما استمع لشيءٍ كاستماعه لقراءة نبيٍّ يجهر بقراءته ويحسنها، وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت؛ لكمال خلقهم وتمام الخشية، وذلك هو الغاية في ذلك.

وهو ـ سبحانه وتعالى ـ يسمع أصوات العباد كلِّهم، بَرِّهم وفاجرِهم، كما قالت عائشة رضي الله عنها: سبحان الله الذي وسِعَ سمعُه الأصواتَ[٢]. ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ الآية [يونس: ٦١]، ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ، كما دلَّ عليه هذا الحديث العظيم، ومنهم من فسَّر الأذن ها هنا بالأمر، والأول أولى؛ لقوله: «**ما أذِنَ الله لشيءٍ ما أذِنَ لنبيٍّ أن يتغنَّى بالقرآن**» أي: يجهر به، والأذن: الاستماع؛ لدلالة السياق عليه، وكما قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١-٥] أي: وحَقَّ لها أن تستمع أمره وتطيعه، فالأَذَنُ هو الاستماع؛ ولهذا جاء في حديث رواه ابن ماجه بسندٍ جيدٍ عن فَضالة بن عبيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**للهُ أشدُّ أذَناً إلى الرجل الحسَنِ الصوت بالقرآن يجهر به من صاحب القَينة إلى قَينته**»[٣].

وقال سفيان بن عُيينة: إن المراد بالتغنِّي: يستغني به، فإن أراد: أنه يستغني به عن الدنيا، وهو الظاهر من كلامه الذي تابعه عليه أبو عبيد القاسم بن سلام وغيره، فخلاف الظاهر من مراد الحديث؛ لأنه قد فسَّره بعض رواته بالجهر، وهو تحسين القراءة والتحزين بها.

---

(١) صحيح مسلم (٧٩٢)، وسنن النسائي ١/ ١٨٠.

(٢) وهو أثر صحيح، أخرجه أحمد (٢٤١٩٥)، والنسائي ٦/ ١٦٨، وابن ماجه (١٨٨).

(٣) سنن ابن ماجه (١٣٤٠) لكن إسناده ضعيف ليس بجيد، فيه ميسرة مولى فضالة، وهو مجهول. وانظر تخريجه في «مسند أحمد» (٢٣٩٥٦).

قال حَرْملة: سمعتُ ابنَ عُيينة يقول: معناه: يستغني به، فقال لي الشافعي: ليس هو هكذا، ولو كان هكذا لكان يتغانى، وإنما هو يتحزَّنُ ويترنَّمُ به، ثم قال حَرملة: وسمعتُ ابن وَهْب يقول: يترنَّمُ به، وهكذا نقل المزني والربيع عن الشافعي رحمه الله.

وعلى هذا فتصدير البخاري الباب بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١] فيه نظر؛ لأن هذه الآية الكريمة ذُكرت ردّاً على الذين سألوا عن آياتٍ تدلُّ على صدقه، حيث قال: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ الآية [العنكبوت: ٥٠، ٥١]. ومعنى ذلك: أولم يكْفِهم آيةً دالَّةً على صدقك إنزالُنا القرآن عليك وأنت رجلٌ أميٌّ ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]. أي: وقد جئتَ فيه بخبر الأولين والآخرين، فأين هذا من التغني بالقرآن وهو تحسين الصوت به أو الاستغناء به عما عداه من أمور الدنيا، فعلى كل تقديرٍ تصديرُ الباب بهذه الآية الكريمة فيه نظر.

فصل

في إيراد أحاديثَ في معنى الباب وذِكر أحكام التلاوة بالأصوات

قال أبو عُبيد: حدثنا عبد الله بن صالح، عن قَباث بن رَزين، عن عُلَيّ بن رباح اللَّخمي، عن عقبة بن عامر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوماً ونحنُ في المسجد نتدارس القرآن، فقال: «**تعلَّموا كتاب الله واقتنوه**». قال: وحسبت أنه قال: «**وتغنَّوا به، فوالذي نفسي بيده، لهو أشدُّ تفلُّتاً من المخاض من العُقُلِ**»(١).

وحدثنا عبد الله بن صالح، عن موسى بن عُلَيّ، عن أبيه، عن عقبة بن عامر،

(١) فضائل القرآن ص٢٩، وإسناده جيد.